الدراسات المتعلقه
بتاريخ العصور الوسطى للغرب

جرى العرف بين قدامى المؤرخين من كتاب المدرسة البائدة على اعتبار العصور الوسطى فترة خالية من نور المدنية الحقة كان الفكر البشرى خلالها فى حالة ركود لا خير فيه .

ويتضح للقارئ من تصفح جمهرة هذه التآليف العتيقة أن كاتبيها إنما كانوا ينظرون إلى تلك القرون العشرة الواقعة بين القرنين الخامس والخامس عشر كما لو كانت قنطرة تصل بين المدنية الرومانية الباهرة وعصر النهضة الزاهر فوق وادى الظلمات السحيق وهو العالم الوسيط .

وقد كان لهذا الاعتبار الغريب أخطر الآثار فى توجيه البحث التاريخى الذى اقتصر على التاريخ القديم والتاريخ الحديث ، وظلت الكتابة فى تاريخ العصور الوسطى خاملة ذابلة فى مجملها ، ولم تنهض إلا فى مغرب القرن التاسع عشر أو فجر القرن العشرين عند ما أخذ البعض فى نشر طائفة من وثائق العصور الوسطى نشراً علمياً ظهر منه بوضوح تام خطأ النظرية القديمة ، حتى إنه لم يمض وقت طويل إلا وتنبه الوعى التاريخى تنبهاً كاملا إلى أن العصور الوسطى لم تكن غارقة فى بحار الظلام ، وأنها كانت مرحلة لازمة من مراحل الحضارة ، قد تركت طابعها الخالد على تقدم العقل الإنسانى وتطور الأنظمة الدستورية ونهضة الفنون والمعمار والأدب والفلسفة وغير ذلك من ضروب النشاط ، فهى إذن جديرة كل الجدارة بعناية الكتاب والباحثين لذاتها ، وهم كلما أوغلوا فى دراستها كلما تفتحت أمامهم بين ظهرانيها آفاق جديدة فى البحث لا يكاد النظر يحيط بمداها .

على ذلك أخذت الدراسات الوسيطة المكانة اللائقة بها فى عالم البحوث التاريخية العامة وفى جامعات أوروبا ، فأنشئت بها الكراسى لتاريخ العصور الوسطى بعد أن كانت خلواً منها . وكانت النتيجة المباشرة لكل هذا فيضاناً جارفاً من مختلف الكتابات فى التاريخ الوسيط يتيه عقل الطالب فيها . وإزاء

تلك الحركة الواسعة النطاق لم يجد البعض بداً من العمل على حصر هذه المراجع الوفيرة وترتيبها ترتيباً أبجدياً وموضوعياً لهداية الطالب إلى بغيته كما يتضح ذلك من مجموعات شفاليه(١) وبوتهاست(٢) ومولينييه(٣) وجروس(٤) وطومسون(٥) وغيرهم كثير . ونظراً لتراكم هذه المادة الواسعة عاماً بعد عام قام المؤرخ بيتوف(٦) بتأليف مجلد خاص اضطلع فيه بعمل دراسة تحليلية لأمهات مراجع التاريخ الوسيط المبعثرة فى مختلف الفهارس المذكورة ، وبهذا يسهل على الطالب مهمة البحث والعثور على بغيته . وعند نفاد الطبعة الأولى من هذا الكتاب ألفت الأكاديمية الأمريكية للعصور الوسطى لجنة خاصة من أعضائها فأصدرت الطبعة الثانية منه بعد مراجعتها وتنقيحها وتزويدها بما ظهر من الكتب الجديدة إلى سنة ١٩٣١ ، فكان هذا اعترافاً ضمنياً بقيمة ذلك المؤلف ، وهى الآن فى صدد إعداد طبعة ثالثة منه تحتوى على الأبحاث الحديثة التى جدّت منذ ١٩٣١ إلى الآن .

خلاصة القول أن الدراسات الوسيطة نشطت نشاطاً يفوق حد الحسبان ، حتى إنه لم يمر عام إلا وظهر منها فيه العدد الوفير من الأصول المنشورة والبحوث

---

(١) Chevalier, U. Répertoire des sources historiques du Moyen Age.
a) Bio-Bibliographie. 2 vols. Paris 1877-86. Supplément 1888. 2nd. edition, Paris 1905-7.
b) Topo-Bibliographie. 2 vols. Paris 1894-1903.
ويستعرض الأول الأصول مرتبة حسب حياة الأشخاص ، والثانى حسب الأماكن والبقاع .

(٢) Potthast, A. Bibliotheca Historica Medii Aevi. 2nd. ed. 2 vols. Berlin 1896.
ويشتمل على أصول العصور الوسطى لغاية سنة ١٥٠٠ م

(٣) Molinier, A. Les sources de l'histoire de France. Paris 1901-6.
ويتكون الجزء الخاص بالعصور الوسطى فى هذه المجموعة من الستة المجلدات الأولى .

(٤) Gross, C. The Sources and Literature of English History from the Earliest Times to about 1485. 2nd. ed. London 1915.
وتعد الأكاديمية الأمريكية للعصور الوسطى طبعة جديدة منقحة من هذا الكتاب فى الوقت الحاضر .

(٥) Thompson, J.W. Reference Studies in Medieval History. 3 vols. Revised edition, Chicago 1923-24.
فيه بعض قصور فى التفصيلات ولكن له قيمته الخاصة لحداثته النسبية .

(٦) Paetow, L.J. A Guide to the Study of Medieval History. Revised ed. London 1931.

والعجالات المتمرقة موزعة بين الدول الغربية وفى مختلف لغاتها . وإن سنة ١٩٥٠ لم تشذ عما سبقها من السنين فى هذا الميدان ، على أنها بحق كانت عامرة بفيض من التآليف التى شملت الكثير من الوثائق الأصلية ، والأعمال العلمية الكبرى والصغرى ، والبحوث الفردية فى موضوعات خاصة محدودة ، مما ألقى ضوءاً وهاجاً على نواح عدّة ومتباينة من تاريخ القرون الوسطى فى الغرب .

وإنه لمن العبث أو اللغو أن يدّعى كاتب هذه السطور أو غيره أنه يزمع الإحاطة بجذافير هذا الفصل من الأدب التاريخى لعام ١٩٥٠ فى مقال ، وإنما الغرض الذى نرمى إليه — وقد نوفق بعض التوفيق فى أدائه — بتلك الإلمامة السريعة ذو شعبتين : الأولى إرشاد القارئ إلى الأمكنة التى يستطيع الرجوع إليها فى البحث عما يهمه من المؤلفات التى اختصت بإحصاء كل ما يظهر من المؤلفات الجديدة فنشرتها تباعاً عاماً بعد عام . والثانية هى أن نردف ذلك بثبت مختصر ننتخب فيه أهم الكتب التى ظهرت عن العصر الوسيط فى تلك السنة لكى يكون فى متناول الكثيرين ممن لا حاجة لهم بتفصيل هذا الأدب الواسع الأطراف .

* * *

إن هناك فى نظرنا مصدرين رئيسيين لا بد لطالب العصور الوسطى من الرجوع إليهما للاهتداء إلى كل ما ظهر فى سنة ١٩٥٠ من الكتب والبحوث سواء أكان ذلك فى مجلدات مستقلة أم ضمن مجموعات متنوعة ومجلات مختلفة : المصدر الأول أوربى ، والثانى أمريكى .

أما الأول فهو : Revue d'Histoire Ecclésiastique وعلى وجه أخص العددان الأول والثانى من المجلد السادس والأربعين الصادر فى لوڤان (بلچيكا) سنة ١٩٥١ . ويقوم بالإشراف على نشر تلك المجلة عدد من كبار أساتذة الجامعة الكاثوليكية بالمدينة المذكورة ، وقد يتبادر للذهن أنها مجلة دينية فى طابعها العام ، غير أن اهتمامها الخاص بمصادر التاريخ الكنسى لم يحل ألبتة دون الإلمام بكل ما ظهر فى ميدان الدراسات الوسيطة الغربية دون التقيد بالمنحى الدينى البحت الذى يوحى به عنوان المجلة . ومجموع صفحات العدد المذكور ٧٤٨ صفحة موزعة على أربعة أقسام رئيسيه كما يلى :

(١) سلسلة من البحوث فى موضوعات متباينة أغلبها يتصل بالتاريخ

الوسيط (ص ص ٥ – ٢٠١)

(٢) نقد لعدد كبير من الكتب الهامة التى ظهرت خاصة فى سنة ١٩٥٠ (ص ص ٢٠٢ – ٣١٢) .

(٣) استعراض للنشاط التاريخى والمشروعات التى تتصل بالتاريخ الكنسى أو الدينى فى مختلف الدول مرتبة ترتيباً أبجدياً (ص ص ٣١٣ – ٥٢٠)

(٤) أما بقية العدد فثبت واسع بالكتب والبحوث التى ظهرت فى تلك السنة ، وهى مرتبة ترتيباً موضوعياً حسب الفنون والعلوم التى تعالجها ، ويلحق بها تحليل عام للمقالات التى نشرت فى مختلف المجلات .

أما المصدر الثانى وهو الأمريكى فهو : Speculum: A Journal of Mediaeval Studies. وهذه هى المجلة التى تصدرها الأكاديمية الأمريكية للعصور الوسطى فى أربعة أعداد سنوية منها عدد كل ثلاثة أشهر . وفى أعداد المجلد السادس والعشرين الصادر فى سنة ١٩٥١ ثبت آخر اختص فى هذه الحالة بمراجع التاريخ الوسيط فحسب مما ظهر فى أثناء سنة ١٩٥٠ على وجه أخص .

ومع أن الأكاديمية الأمريكية للعصور الوسطى هيئة حديثة العهد ، جاء تأسيسها فى سنة ١٩٢٥ ، فإنها كادت تبلغ مركز الصدارة من حيث الإنتاج العلمى الجدّى المضطرد الزيادة . فإلى جانب المجلدات الست والعشرين من مجلتها قد نشرت سلسلة من الكتب والبحوث المستقلة من أقلام أساتذة العصور الوسطى الأمريكيين بلغ عددها الآن نحو ستين مجلداً ورسالة ، نبين فيما يلى المجلدات الخمسة الأخيرة من بينها :

1. Emily L. Shields & Harry Blumberg (edd.) Averrois Cordubensis Compendia Librorum Aristotelis Qui Parva Naturalia Vocantur. (Vol. VII — Corpus Commentariorum Averrois in Aristotelem) Pp. XXIV, 276.

وهو المجلد السابع من شروح ابن رشد على أرسطاليس منقولا إلى اللغة اللاتينية فى العصور الوسطى :

2. Willi Apel, — French Secular Music of the Late Fourteenth Century. Pp. 133 & Plates.
3. W.A. Morris & W.H. Dunham, — The English Government at Work 1327-36. (Vol. III, Local Administration and Justice.) Pp. XVIII, 285.

4. J. Hammer. — Geoffrey of Monmouth : Historia Regum Britanniae. Pp. X, 292.
5. Roy J. Deferrari, — Hugh of St. Vic.or : On the Sacraments of the Christian Faith (De Sacramentis). Pp. XX, 486.

أما المجلة فلا تتناول غير التاريخ الوسيط وعلومه المساعدة ، ويفتتح كل جزء من أجزائها بعدد من البحوث والمقالات يتلوها قسم واسع يختص بنقد عدد عديد من الكتب التى ظهرت فى هذه المادة ، ويختتم بقائمتين : إحداهما ثبت بأسماء الكتب الجديدة فى التاريخ الوسيط ، والأخرى تحليل عام للبحوث الفردية الصغرى التى ظهرت فى مختلف المسجلات العالمية بموضوعات متصلة بذلك التاريخ .

* * *

ومع أن هاتين المجلتين فيهما من المادة ما يكفى لتقدير الموقف العام لدراسة تاريخ العصور الوسطى فى الغرب ، ولهداية الباحث إلى المنابع الخاصة لأى موضوع معين من هذا التاريخ ، إلا أن ذلك لا يحول دون تسجيل بعض المجلات الأخرى وبعض الهيئات التى قد يكون فى نشاطها نفع إضافى للمشتغل أو المتخصص فى الثقافة الوسيطة وأدبها التاريخى . ونذكر فيما يلى الأمثلة البارزة من بينها دون تفصيل محتوياتها المتشعبة مما تضيق عنه هذه الصفحات :

1. The Progerss of Mediaeval and Renaissance Studies in the United States and Canada. (University of Colo:ado.)
2. Medievalia et Humanis:ica. (Boulder, Colorado, U.S.A.)
3. Dumbarton Oaks Papers. (Washington. U.S.A.)
4. Byzantina — Metabyzantina. (New York Society for the Promotion of Byzantine and New Greek Studies.)
5. Medium Aevum. (Oxford.)
6. Camden Series, Transactions and Publications of the Royal Historical Society. (London.)
7. English Historical Review. (London.)
8. Mediaeval Studies. (Pontifical Institute of Ottawa, Canada.)
9. Bibliothèque de l'Ecole des Chartes. (Paris).
10. Le Moyen Age. (Paris.)

* * *

والآن نختم هذا المقال بثبت لأهم الكتب والأبحاث فى تاريخ العصور الوسطى الغربية مما ظهر فى أثناء سنة ١٩٥٠ بأوربا وأمريكا ، وكل مرجع

منها مشفوع بمكان الطبع وعدد صفحاته فقط .

Halphen L. — A travers l'histoire du moyen âge. (Paris.) Pp. XI 352.
Beck, M. — Finsteres oder romantisches Mittelalter ? Aspekte der modernen Mediaevistik. (Zurich) Pp. 32.
Neues, W. — Die Kirche des Mittelaters. (Die katholische Kiıche im Wandel der Zeiten und der Volker, T. II.) 2nd. ed (Bonn) Pp. 440.
Daniel-Rops, H. — L'Eglise des temps barbares. (Les grandes études historiques. Histoire de l'Eglise du Christ, T. II.) New edition. (Paris.) Pp. 776.
Deansly, M. — A History of the Mediaeval Church 590-1500 A.D. New edition. (London.) Pp. 292.
Berardis, V. — Italy and Ireland in the Middle Ages. (London.) Pp. 227.
Lagier, C. — L'Orient Chrétien. T. II : De Photius à l'empire latin de Constantinople. (Paris.) Pp. XII, 610.
Hampe, K. — Das Hochmittelalter : Geschichte des Abendlandes von 900 bis 1250. New edition. (Munich.) Pp. 439.
Powicke, F.M. — Ways of Mediaeval Life and Thought. (London.) Pp. 255
Cam, Helen. — England before Elizabeth. (London.) Pp. XII 184.
Coghill, N. — Visions from Piers Plowman. (Oxford.) Pp. 143.
Hay. D. (ed.) — The "Anglica Historia" of Polydore Vergil, A.D. 1485-1537. (Camden Series LXXIV, Royal Historical Society, London.) Pp. XIII, 373.
Kelly, Amy. — Eleanor of Aquitaine and the Four Kings. (Harvad University Press.) Pp. XII, 431.
Walker, Curtis H. — Eleanor of Aquitaine. (University of North Carolina Press.) Pp. XIV, 274.
Lawrence, Wm. W. — Chaucer and the Canterbury Tales. (Columbia University Press.) Pp. IX, 184.
Mayer, Th. — Fursten und Staat. Studien zur Verfassungsgeschichte des deutschen Mittelaters. (Weimar.) Pp. IX, 327.
Boutière, J. et Schutz, A.H. — Biographies des troubadurs : Textes provençaux. (Paris.) Pp. XXXII, 451.
Bukofzer, Manfred F. — Studies in Mediaeval and Renaissance Music. (New York.) Pp. 324.
Chadwick, O. — John Cassian : A Study in Primitive Monasticism. (Cambridge University Press.) Pp. XI. 213.
Durant, Will. — The Age of Faith : History of Mediaeval Civilization — Christian, Islamic and Judaic — from Constantine to Dante A.D.

325-1300. (Vol. IV of the Story of Civilization. New York.) Pp. XVIII, 1196.
Grand, R. — L'agriculture au moyen âge. (Paris.) Pp. 740.
Jacopo di Verona. — Liber Peregrinationis. (Rome.) Pp.XXXI,240.
Kampf, H. — Das Reich im Mittelalter. (Stuttgart.) Pp. 150.
Sellery, George C. — The Renaissance : Its Nature and Origins. (University of Wisconsin Press.) Pp. 296.
Thomas, Mary E. — Mediaeval Skepticism and Chaucer. (New York.) Pp. 184.
Vasiliev, A.A. — Buyzance et les arabes. T. II : La Dynastie Macédonienne (867-959) — (Paris.) Pp. X, 440.
Bréhier, L. — Le Monde byzantin. T. III : La civilization byzantine. (Paris.) Pp. XXV, 627.
Carlyle, R.W. & A.J. — The History of Mediaeval Political Thought. Vol. V : The Political Theory of the Thirteenth Century. (London.) Pp. XX, 494.
Folz, R. — Le souvenir et la légende de Charlemagne dans l'empire germanique médiéval. (Paris.) Pp. 624.
Hoyt, Robert S. — The Royal Demesne in English Constitutional History. (Cornell University Press.) Pp. XII, 253.
Hunt, R. and Kilbansky, R. (edd.) — Mediaeval and Renaissance Studies. (Warburg Institute, London.) Pp. 189.
Liebeschutz, H. — Mediaeval Humanism in the Life and Writings of John of Salisbury. (Warburg Institute, London.) Pp. 126.
Coptic Studies in Honour of Walter Ewing Crum. (The Byzantine Institute, Boston.) Pp. XI, 572.
Hadjinicolaou, A. — Recherches sur la vie des esclaves dans le monde byzantin. (Institut Français d'Athênes.) Pp. 134.
Smallgrove, Harold S. — The Lusignans in England, 1247-1258. (University of New Mexico Publications in History II.) Pp. 96.
Jones, Charles W. (ed.) — Mediaeval Literature in Translation. (New-York.) Pp. XX, 1004.

عزيز سوريال عطيه
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
بجامعة فاروق الأول